المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor isi 1.304

العدد العشرون / آب 2023

الميتا شعرية في شعر ما قبل الإسلام

meta-poetics in the pre-Islamic era

الباحث حمدان محمد حمدان العمور

أستاذ مساعد في وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، دكتوراه لغة عربية

دولة فلسطين- مدينة خانيونس

البريد الالكتروني: H2232015@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على موضوع انتشر كثيرًا في هذا العصر، ألا وهو الميتا شعرية في عصر ما قبل الإسلام، وفيه يتم تعريف الشعر بشكل عام، ثمَّ تعريف الميتا شعرية لغة واصطلاحًا، ومعرفة مرادفات الميتا شعرية، ثم التعرف على الميتا شعرية في شعر ما قبل الإسلام عند أشهر الشعراء في ذلك الزمن، وأنَّ الميتا شعرية ليست وليدة غربية، والاستشهاد ببعض الأمثلة على ذلك، وفيه يتم بيان أنَّ شعر ما قبل الإسلام ليس شعرًا تقليديًا فقط، بل فيه حداثة كبيرة في استخدام المعاني، واعتمد الباحث فيه على المنهج الوصفي التحليلي، فوصف الميتا شعرية حديثًا وقديمًا، والربط بين معنى الميتا شعرية في السابق والحاضر، ثمَّ تحليل بعض الأبيات الشعرية التي وردت فيها دلالات الميتا شعرية، واستعان الباحث بالعديد من المصادر منها المصادر الأجنبية والعربية القديمة منها والحديثة، وبعض الدواوين الشعرية لشعراء ما قبل الإسلام، في ختام هذا البحث توصل الباحث إلى عدة نتائج، ومنها: أنَّ الميتا شعرية استخدمها الشعراء العرب قبل الإسلام، والشعر العربي قبل الإسلام هو كنز دفين من الدلالات

الكبيرة التي تحوي معظم أنواع الأدب الحديث، ويبين البحث حداثة شعراء العرب قبل الإسلام في الأجناس الأدبية ومواكبتهم لها، وأنهم لم يقولوا الشعر للشعر فقط، بل لمعاني كبيرة، ودلالات عميقة، وختم الباحث بحثه بعدة توصيات، منها: البحث العميق في شعر ما قبل الإسلام، وتطبيق الأجناس الأدبية الحديثة على شعرهم لمعرفة درجة حداثة شعراء ما قبل الإسلام، والكشف العميق في الكثير من الأبحاث في شعر ما قبل الإسلام لما له من قيمة كبيرة، وبلاغة عظيمة.

الكلمات المفتاحية: الميتا شعرية، الشعر، عصر ما قبل الإسلام، الجاهلية.

Summary

This research aims to stand on a topic that has spread a lot in this era, which is meta-poetics in the pre-Islamic era, in which poetry is defined in general, then meta-poetics is defined linguistically and idiomatically, and knowledge of synonyms of meta-poetics, then identification of meta-poetics in a poem. Before Islam according to the most famous poets of that time, and that meta-poetry is not a Western offspring, and some examples are cited in it, and in it it is shown that pre-Islamic poetry is not only traditional poetry, but rather it has great modernity in the use of meanings, and the researcher relied on the descriptive and analytical approach He described meta-poetics, new and old, and linked the meaning of meta-poetics in the past and the present, then analyzed some of the poetic verses in which meta-poetic connotations were mentioned. At the conclusion of this research, the researcher reached several results, including: that meta poetry was used by Arab poets before Islam, and Arabic poetry before Islam is a treasure trove of great indications that contain most types of modern literature. And that they did not say poetry for poetry only, but for great meanings and deep

connotations, and the researcher concluded his research with several recommendations, including: deep research in pre-Islamic poetry, applying modern literary genres to their poetry to know the degree of modernity of pre-Islamic poets, and deep exploration in many researches. In pre-Islamic poetry, because of its great value and great rhetoric.

Keywords: meta-poetics, the pre-Islamic era,ignorance

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصبحه أجمعين.

كان لفظ الشعر العام يُطلق على دراسة الشعر نفسه فقط، ثم أصبح يطلق على دراسة التغيرات الشعرية التجديدية التي تتجاوز المعايير المعروفة، فأصبح يوضع في مقابل مصطلح الشعر المقارن، وهذا الشعر يدرس علاقات التأثر والتأثير ما بين الشعر العربية في لغتها الأصلية، وأمَّا الشعر الخاص فيطلق على الشعر المتصف بالجمال الفني البياني والعناصر البلاغية.

ومن أكثر المفهومات تشعبا واختلافا وإثارة للجدل هي تلك التي يعرفها الجميع عن الشعر، لكنهم يختلفون فيها، فقد تجاوزت تعريفاته أكثر من أربعمئة تعريف انتهت غالبيتها إلى أن الشعر هو الشعر.

فالبحث في تعريف الشعر وحده لا يكفي ما لم يكن مقترناً بفنٍ أو غرضٍ معينٍ ومعروفٍ مثل: الشعر الوجداني، والشعر الملحمي، والشعر المسرحي وغير ذلك.

وبطبيعة الحال لم تكن تلك التعريفات وليدة العصر؛ فقد وصلتنا مفهومات متأصلة في العمق المعرفي لأشياء لم تكن وليدة هذا العصر، ومنها الشعر، ولا تطمح هذه الدراسة للخوض في

تاريخ هذا المفهوم، لكنها مبنية على أن الشعراء سبقوا النقاد في البحث عن ماهية وابداع ووظيفة الشعر الذي يعانون كتابته.

أولًا- أهداف موضوع البحث:

ويهدف هذا البحث إلى عدة أهداف، وهي:

1- الوقوف على دلالات الميتا شعرية في لغة واصطلاحًا، وعند النقاد المحدثين.
2- بيان بلاغة شعراء ما قبل الإسلام في شعرهم، والحداثة عندهم.
3- التعرف على الميتا شعرية في شعر ما قبل الإسلام.

ثانيًا- أهمية موضوع البحث:

1- الكشف عن وجود الميتا شعرية ودلالتها في شعر ما قبل الإسلام.
2- تأثر الشعراء في عصر ما قبل الإسلام بالحداثة وأنَّ الميتا شعرية ليست وليدة غربية.

ثالثًا- الدراسات السابقة:

رجع الباحث في بحثه إلى عددٍ من الدراسات السابقة، وهما:

1- وايلز، كاتي، معجم الأسلوبيات، ترجمة: خالد الاشهب، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، ط1، 2014م.
2- هيدجر، مارتن، مدخل إلى الميتافيزيقيا، ترجمة: د عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط:1، 2015م.

رابعًا- منهج البحث:

اتبع الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي لدلالة الميتا شعرية في عصر ما قبل الإسلام، وكان محور البحث في شعر ما قبل الإسلام، لدراسة دلالات الميتا شعرية، والاستشهاد ببعض الشعر العربي.

خامسًا: تقسيم البحث:

1- **المقدمة:** وتتضمن أهمية البحث وأهدافه، ومنهجه، فيكون مدخل هذه المقدمة هو التعريف بالشعر بشكل عام، ثم التعريف بالميتا شعرية بشكل خاص.

2- **موضوع البحث:** وينقسم موضوع البحث إلى فصل واحد يحوي الجانب النظري، وهو الميتا شعرية في شعر ما قبل الإسلام.

سادسًا- الخاتمة:

وتوصل الباحث في الخاتمة استخلاصاته، والتوصيات، والملاحق، وقائمة المصادر والمراجع، والفهرست.

أما الخاتمة، فقد احتوت أهم نتائج البحث التي توصل إليها الباحث، ثم التوصيات التي يراها الباحث.

وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقْتُ في إعداد البحث، وما كان من تمام فيه فمن الله وحده، له المنة وله الفضل، وإن كان من نقصٍ فهو مني ومن الشيطان، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد وسلم تسليمها كثيرًا.

الميتا شعرية لغة واصطلاحًا:

أ. الميتا شعرية لغةً:

فتعود كلمة (ميتا) الى أصل لاتيني لمعانٍ يصعب ترجمتها للعربية؛ لأنها تعني ما وراء أو ما بعد أو ما فوق، وهو تعبير عن وعي كبير بما يمارسه الشاعر فتكون فيه القصيدة هي موضوع القصيدة، أو القصيدة في القصيدة، أو عليها، أو الشعر عن الشعر.

ب. الميتا شعرية اصطلاحًا: ولا تقتصر الميتا على الشعر فقط؛ لأنها تسبق علوما كثيرة، لأنهم رأوا انها تعني تحت أكثر من وراء أو فوق[1]، وقد أفاض الباحثون في توضيحها مع الفنون والعلوم الأخرى[2].

ويرى د. محمد عبدالله القواسمة إلى (مصطلح البوح بدلا من المصطلح الغربي حيث يبوح الشاعر أسراره الشعرية)[3]، وهذا ليس دقيقا _ في نظرنا على الأقل_ من حيث ربط التعريف بالوظيفة؛ فالكرسي لا يعرف بأنه شيء مخصص للجلوس عليه؛ لأن هذه وظيفته وليس تعريفه، فالشعر في أي غرض أو فن شعري _ وبخاصة الوجداني منه_ يبوح فيه شاعره تجاه أي قضية أو موقف، ولا يقتصر البوح على نظرته للشعر: مفهوما ووظيفة وإلهاما.

وتبقى هذه العملية متداخلة ومتشعبة في العصر الجاهلي؛ لأن الشاعر حين يكتب يخرج من وعيه بشعره ليعيش لحظة الإبداع والتجديد، لكنه في الميتا شعر يستيقظ ليقف على مكنونات الشعر ومفاهيمه، ودور الشاعر في شعره ومكانته بين الشعراء في عصره، ورؤيته لعملية الإبداع وتفسير كنهها، وموقفه من أسلافه الذين سبقوه؛ لما يصله من تراث شعري كبير، يحتاج الشاعر المجدد في مرحلة نضجه وتفرد تجربته أن يتجاوزه، أو يعيد بناءه برؤية جديدة، أو يهدمه ليبني عالما شعريًا خاصًا به.

فالشاعر في الميتا شعر يقف تمامًا موقف الناقد المحلل لشعره متمثلًا دورا آخر يمارسه مبدع آخر هو الناقد، فينظر بمرآة شعره التي تشعره بأنّ عليه أن يعي ما الشعر؟ وكيف يتأتى إليه؟ وما موقفه من اللغة؟ وما مكانه من تراثه؟ وما الهدف من معاناة كتابة القصيدة؟

---

[1] ينظر: وايلز، كاتي، معجم الأسلوبيات، ترجمة: خالد الاشهب، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، ط1، م2014، ص: 434.

[2] ينظر: لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت –باريس، ص: 790، وينظر: هيدجر، مارتن، مدخل إلى الميتافيزيقيا، ترجمة: د عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط:1، 2015م، ص: 17.

[3] البوح الشعري في مجموعة (للحزن عيون تعرفني)، د. محمد عبدالله القواسمة، دنيا الوطن(صحيفة الكترونية) على الرابط https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2019/12/15/508954.html، بتاريخ: 2020/4/2.

كما يقف الشاعر في ميتا شعره متأملا أو متحيزا لنظرية من نظريات تفسير الابداع والتجديد اللذان يقفان بين عوالم غيبية موحية: كالشياطين عند العرب، والإلهة وربات الشعر عند اليونانيين، وبين الإبداع المعتمد على الملكة والموهبة المصقولة التي تأتيه حينما تتميز روحه، ويصبح في قلب العملية الإبداعية.

وما دامت ترجمة مصطلح (الميتا شعر) لا تقدم معنى معادلاً معنوياً حقيقياً لهذا المصطلح؛ اخترنا تسميته الغربية، فيقدمُ الفصل مثال تطبيقي واعي لمفهومِ الشعرِ على الشعر عندَ شعراءِ العربيةِ في العصرِ الحديثِ، ويفترضُ أنْ يُقدمَ هؤلاءِ الشعراءِ مفاهيم ترتبطُ بالطبيعةِ أو بالإنسانِ أو بكليهما أو يبقى غموضُ مفهومِ الشعرِ وصعوبةِ حَدِّهِ بتعريفٍ معينٍ مسيطراً على رؤى قسمٍ منهم، ويعالج هذا الفصل الهدفَ من ابداعِ الشعرِ بكونِه للحياة ام للفنِ وحدِهِ، ويجدُ كلا الأمرينِ عندَ الشعراءِ، ويبحثُ في قضيةِ الإبداعِ الشعريّ وتجديده ومصدرِهِ ويجدُ إتباعاً في الرؤى سيراً على ما سارَ عليهِ الشعراءُ القدماءُ غالباً، مما يدلُّ على وعي بالعمليةِ الشعريةِ وقصدٍ لسلوكِ سبيلِ الميتا شعر الذي افترضنا انَّهُ غرضٌ شعريٌّ مثل الرثاء والمديحِ وغيرِهما، وانَّ الشاعرَ يتناولُهُ بهذهِ الطريقةِ التي افترضناها وَصَدَّقها البحثُ.

ت. مصطلح الشعر الجاهلي:

إن مصطلح العصر الجاهلي لا يعني أنهم قوم أميون، لا تعرفون الميتا شعرية، ولا التجديد في الشعر ونقده، بل هم كانوا في أزهى البلاغة، وكانت عندهم حضارة علمية عريقة.

فقد حدد شوقي ضيف معنى الجاهلية، فقال:" وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق؛ فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلَّ وعز وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم"[4]، فالجاهلية تعني الغضب والسفه، وليست نقيض العلم، فليست مشتقة من الجهل المعروف ضد العلم، بل تقابل الإسلام.

واستخدم هذا المعنى الشاعر عمرو بن كلثوم عندما كان يتوعد عمرو بن هند:

[4] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، ص: 39.

ألا لا يَجهَلَنْ أحَدٌ عَلَينا فَنَجهَلَ فَوقَ جَهلِ الجاهلينَا[5]

وذكر الأدباء والنقاد في شرح معنى هذا البيت:" فنجهل فوق جهل الجاهلين، معناه فنهلكه ونعاقبه بما هو أعظم من جهله، فنسب الجهل إلى نفسه، وهو يريد الإهلاك والمعاقبة، ليزدوج اللفظان، فتكون الثانية على مثل لفظ الأولى وهي تخالفها في المعنى؛ لأن ذلك أخف على اللسان وأخصر من اختلافهما"[6]، فالجهل في شعره يعني الغضب والمعاقبة، وليس العلم. فالشاعر استخدم مصطلح الجهل بمعنى الغضب، وهذه إحدى دلالات هذا المعنى في الشعر العربي، ومن دلالته أيضًا على الفخر مثل استخدام لبيد بن ربيعة لهذا المعنى، فقال:

بنُو عامرٍ منْ خَيـــــرِ حَيٍّ عَلِمتُهمْ وَلوْ نَطَقَ الأعـــــداءُ زُوراً وَبَاطِلا

لهُمْ مَجلِسٌ لا يحصَرُونَ عن النَّدى ولا يزْدَهيهِمْ جَهلُ من كانَ جاهلا[7]

فاستخدم الشاعر لبيد بن ربيعة للفخر بأن قومه لا يهتمون بسفه من كان في المجالس، وهم أهل الندى، وهم خير الأقوام، ولا يهمهم ما يقوله عنهم الأعداء.

فالعرب في العصر الجاهلي من ناحية الميتا شعرية كانوا يهتمون بالعلم كثيرًا، ويهتمون بأجود الأشعار، ويتحاورون وينتقدون ذلك كثيرًا، فكان عندهم سوق مشهور في الشعر ويظهر اهتمامهم بالتجديد الشعري، وهو سوق عكاظ، وقد قيل عنه:" يقيمون أسواقهم التجارية كسوق عكاظ ومجنّة وذي المجاز، ولم تكن أسواقًا تجارية فحسب؛ بل كانت أسواقًا أدبية أيضًا، تعرض فيها سلع الشعر؛ فيتنافس فيها الشعراء ويقوم بينهم المحكمون والنقاد من أمثال النابغة فيحكمون للمتفوق ببراعته، وبذلك هيأت لحركة أدبية واسعة النطاق، سيطرت فيها لغتها بحكم مكانتها الدينية

---

[5] الخطاب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، ت: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 87.

[6] بشار الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف [سلسلة ذخائر العرب (35)]، ط: 5، ص: 426.

[7] ربيعة، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: 41هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م، ص: 78/1.

وتنقلها بتجارتها في أسواق العرب خارج ديارها، فأصبحت لغة الأدب الرفيعة، ولعل في هذا كله ما يدل على عظم شأنها في الجاهلية"[8]، فالعرب كانوا يبحثون عن التجديد في شعرهم والحداثة، وهذا ما سنبحث فيه في الميتا شعرية في العصر الجاهلي.

الميتا شعرية في شعر ما قبل الإسلام:

فالميتا شعرية، الميتا شعرية هي مصطلح يدل على التنظير أو الوصف أو الكلام على الشعر ضمن اطار العمل الشعري نفسه، أي بقصد الشعر على الشعر أو القصيدة في القصيدة، ويرجع تاريخ الحديث عن الميتا شعرية إلى الشاعر الروماني هوراس في قصيدته المشهورة «فن الشعر» التي يقدم فيها النصائح والتوجيهات للشعراء والكتاب المسرحيين في الشعر، فهو من الكتَّاب الذين تركوا أثرًا أبلغ، فكانت رسالته: فن الشعر، مقالة نقدية كتبت على شكل شعر نظمًا[9]، إلا أن هذا النوع من الكتابة الشعرية أقرب إلى النقد المنظوم المنظور، بحيث يلعب الشاعر دور المنظر أو الناقد ويكون الشعر، وزنًا وقافية، مجرد قالب أو اطار لهذا التنظير النقدي فقط.

فيتناول هذا البحث شعر الشعراء الذين وقفوا مواقف من شعرهم مقدمين مفهومات ودلالات لما يتصوروه أو يظنون أنه مفهوم الشعر الحقيقي أو مفهومهم الخاص له الذي يميزهم بتمييز معين، فهم يقدمون رؤية شعرية ذاتية، تبقى لها خصوصيتها، وتأتي من رؤى الشعراء الآخرين للوقوف على مدى تحقق تلك الرؤية عن قصد أو من دونه.

وما دامت الموهبة بطبيعة الحال فردية والتجربة خاصة بكل إنسان – شاعر– وان كانت الثقافات مشتركة لكن طريقة تلقيها وتفسيرها وفهمها تختلف باختلاف عدد قرائها، فقد تكون الرؤى متطابقة أو متقاربة في الشعر لدرجة كبيرة منال صعب التحقيق؛ فالتعريفات الكثيرة جدًا للشعر عند النقاد وهم يستقرؤون ماهية الشعر وتدفعنا للتحيز لغلبة الاختلاف بين الشعراء الذين يبدعون عملهم، وتقوم عملية إبداعهم على رؤى وأفكار وأيدولوجيات مختلفة.

[8] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 50.

[9] نجم، محمد يوسف (المتوفى: 1430هـ)، فن المقالة، دار صادر – بيروت، دار الشروق – عمان، ط: 1، 1996م، ص: 13/1.

وبطبيعة الحال يجب على الأديب بصورة عامة والشاعر بخاصة أن يتخذ موقفًا من الكون والوجود، وأن يثيره هذا الوجود فيدفعه لتبني رؤية خاصة به تجاهه، قد ينطلق فيها من توجهه العقائدي أو الثقافي، ولكنه يبقى موقفًا في نهاية الأمر عليه أن يتحيز في حدوده، وأن ينطلق من منطلقاته وأفكاره؛ ليقدم لقارئه ما يشعر به من عواطف تربطه بالكون والإنسان وقضاياه الكثيرة.

إن الحداثة والتجديد في الشعر كان عند العرب من قبل الإسلام، فكان العرب يعملون على تجويد الشعر كثيرًا، ويتناقدون كثيرًا، ويشيرون لأفضل شاعر، وأفضل بيت قيل في الشعر، وصحة المعاني، وكان هذا في عدة أسواق أشهرها سوق عكاظ[10].

وممن اشتهروا بالنقد للشعر، وتنقيحه الناقد النابغة الذبياني فقد كان تضرب له قبّة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، قال: فأول من أنشده الأعشى: ميمون بن قيس أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري[11]، فقال حسان:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقـــــاء وابني محرّق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان إنما هو قوله: الغر، وكان ممكناً أن يقول: البيض، لان الغرة: بياض قليل في لون آخر غيره كثير، وقالوا فلو قال: البيض، لكان أكثر من الغر[12]، فالواضح أنهم كانوا يهتمون بالشعر ونقده وارتباطه بالشاعر ومجتمعه.

[10] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 50.

[11] موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران (المتوفى: 384هـ)، ص: 69.

[12] البغدادي، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، أبو الفرج (المتوفى: 337هـ)، نقد الشعر، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط: 1، 1302هـ، ص: 18.

وفي هذا البحث سنبحث في الميتا شعرية بطريقة أخرى، وليست الميتا شعرية المفهومة حاليًا، ففي العصر الجاهلي كان الشعر بسيطًا، يتميز بعدة خصائص منها[13]:

1- تتميز القصائد في عصر ما قبل الإسلام بالطول، وتعدد الموضوعات والأغراض داخل القصيدة، والتنقل بينها.

2- نجد أصحابها يفتتحونها غالبًا بوصف الأطلال وبكاء آثار الديار، وتجدر الإشارة على أن أول من بكى الديار ووقف في الأطلال هو ابن خِذام، وذلك كما ظهر في قول امرئ القيس:

لِمَنِ الدّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَـــــامِ فَعَمَايَتَينِ فَهَـــــضْبِ ذِي أقْدَامِ

فَصَفَا الأطِيطِ فَصَاحَتَينِ فَغَاضِرٍ تَمْشِي النّعَـــــاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ

دَارٌ لِهِنْـــدٍ وَالرَّبَـــــابِ وَفَرْتَنِي وَلَمِيسَ قَبْـــــلَ حَوَادِثِ الأيّامِ

عُوجَا عَلى الطَّلَلِ المُحِيلِ لأنّنَا نَبْكِي الدّيارَ كما بكى ابنُ خِذامِ[14]

3- ومن خصائص شعر ما قبل الإسلام أيضًا، يصفون رحلاتهم في الصحراء، وما يركبونه من إبل وخيل، ويصفون الإبل والخيل والناقة، وكثيرًا ما يشبهونها في سرعتها ببعض الحيوانات الوحشية، ويمضون في تصويرها.

4- بعد الانتهاء من تصوير هذه الأغراض ينتقلون إلى الغرض الرئيس من قصيدتهم مديحًا أو هجاء أوفخرًا أو عتابًا أو رثاء.

5- للقصيدة مهما طالت تقليد ثابت في أوزانها وقوافيها، فالقصيدة تتألف من وحدات موسيقية يسمونها الأبيات، وتتحد جميع الأبيات في الوزن والقافية، وتنتهي أخيرًا بالرَوِي.

- **دلالات الميتا شعرية في شعر ما قبل الإسلام:**

[13] ينظر: الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله (المتوفى: 486هـ)، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط: 1، 142هـ - 2002م، ص: 5.

[14] الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، ديوان امرِئ القيس، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط: 2، 1425هـ - 2004م، ص: 959/2.

فالناظر في شعرهم بأنه فيه ميتا شعرية البسيطة في وصف الشاعر شاعرًا آخر، ووصف البيئة والمجتمع بتشبيهات متعددة، بحيث يضع الشاعر نفسه تحت مجهر لفحص المصادر التي تؤدي لإلهامه ومخاوفه وآماله، وأحلامه وتصوراته حيال الكتابة الشعرية.

وفي هذه الميتا شعرية يعيد الشاعر النظر في موقعه تجاه الشعراء الآخرين، وتجاه المجتمع وما به، وإزاء تراثه الشعري، فنرى الشاعر الجاهلي يسأل نفسه ويمتحنها، ونراه يتفحص الشكل الشعري ويعيد تركيبه مرة أخرى، والدافع وراء كل هذا هو وعي حاد بخفايا الكتابة الشعرية ودقائقها فينعكس في النص الشعري مقدما لنا قصيدة كلها تساؤل عن نفسها وتطرح أسئلة حول تعريف الشعر وحدوده، وحول موقع الشاعر ودوره في مجتمعه، وحول إمكانية التأليف الشعري الجديد أو استحالة تأليفه.

وهذه أسئلة تكثر أو تزداد ضروريًا في بدايات مشاريع التجديد الشعري عند شعراء ما قبل الإسلام، بحيث يصبع الشعراء أكثر وعيًا بدورهم كمجددين بما يندرج عليه هذا من هدم وبناء ولاسيما عندما تسعى معاني التجديد هذه إلى تحديد موقفها مما سبق في الشعر.

فالشعر الجاهلي رسم لنا الحياة قبل الإسلام، وتفاصيلها، ولو لم يصلنا من الشعر الجاهلي سوى هذه مجموعة موثقة؛ لأمكن وصف تقاليده وصفًا دقيقًا؛ فقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية ودارت مع الأيام والأحداث، وتميز الشعراء عن بعضهم، والبحث عن أجود الشعر[15].

ومن سمات شعر ما قبل الإسلام في المعاني التجديدية، وتعلقها بالميتا شعرية، قيامه على معاني متنوعة عفوية، وقد تكون في الشعور، واللا شعور، كالعقل الباطني، وليس في العقل الواعي، فتصبح تصوراتهم ومعانيهم لا عقلانية وغير موضوعية تجري في ذهن الشاعر الجاهلي، بسبب غموض بعض مجريات المستقبل، وكثرة الاحتمالات الخطرة المقلقة لحياته[16].

فالرؤية الرمزية في الميتا شعرية عندهم تجسدت على شكل رموز متعلقة بعالم الإنسان أو الطبيعة، أو ما وراء الطبيعة، وهذا الأسلوب التصويري يعتمد على تحليل الصور المركزة تحليلًا

[15] ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص: 177.

[16] إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي– القاهر، 1974م، ط: 3، ص: 203.

يكشف أصولها الأسطورية، ويبرز العلاقات الخفية في تنقلات معاني الصورة الواحدة، فنجد عندهم اختلاف رواية الصورة النمطية عند كل واحدٍ منهم[17]، فلا يوجد تشابه بين رواية امرئ القيس، ولا رواية زهير بن أبي سلمى، ولا رواية طرفة بن العبد، فكل شاعر منهم يستخدم المعاني التي توضح صورته في الميتا شعرية في شعره.

فالميتا شعريّة، يكون فيها الشّعر المنعكس ذاتيّا، فترتبط الميتا شعرية والمساءلة الذاتيّة، فقد حاول بعض الشعراء الجاهليين التحدُّث في شعرهم عن الشعر والشعراء، فابتدعوا شيئا يُدعى الميتا شعرية، أي يكون الشاعر شاعرًا وناقدًا في الوقت ذاته، فهو ناقد لشعره في المقام الأول، ولطالما تحدّث النقاد عن علاقة الإبداع الشعري بالتراث الشعري لشعر ما قبل الإسلام، وسعى كثيرون إلى محاولة إثبات التجديد والمغايرة في الشعر العربي القديم، ويجب فهم التراث بعلاقة التقليد والاتباع، وهو ما عرف بالأصالة، في مقابل التجديد وما يعنيه من انفصال عن التراث الشعري القديم، يعد خطأ آخر يضاف إلى الكثير من المسلمات التي تناقلناها عن مجمل تراثنا الشعري، فالعلاقة بالتراث بقدر ما هي تعبر عن أصالة إلا أن هذا لا يمنع أصلا أن يكون التراث نفسه دافعا إلى التجديد والإبداع مثلما كان، فبنظرة لما ابتدعه التراث من حداثة على مستوى الألفاظ والأشكال وكذلك على مستوى وعي الشاعر بشعره يكتشف ملامح الثورة والتجديد.

ويعد هذا البحث بمثابة ردّ اعتبار للتراث الشعري العربي، بوصفه تراثا تقليديا في مقابل الحداثة والتجديد لكل ما هو متصل بالغرب، التي رددها النقاد الغربيون طيلة السنوات السابقة، يبقى تأثيرها ضئيل إلى جانب تأثيرات التراث العربي، ومن هنا يتمّ التأكيد على أن التراث الشعري العربي، لم يكن متعارضا مع الحركة الشعرية الجديدة، أو الحداثة، وبالتالي تبطل ثنائية تعارضات التراث والحداثة التي ردّدها البعض كتأكيد على المغايرة، وفي ضوء هذا لم يعد الشعر فنا حدسيّا عفويّا، بل صارت كتابته عملية واعية، يسعى فيها الشاعر إلى تغيير الماضي، وصنع مكان له بالقوة في الحاضر، ومنافسة الشعراء.

إنَّ حديث الشاعر الجاهلي عن الشعر خاصية للقصيدة، منذ أن وعى الشاعر الجاهلي أن الشعر عن الشعر بعض الشعر، ولذلك وصف بعض الشعراء القدماء أشعارهم الخاصة، فخراً

[17] عبد الرحمن، إبراهيم، الشعر الجاهلي (قضاياه الفنية والموضوعية)، ص: 44-54.

وتيهاً، وسعوا إلى تعريف الشعر بالشعر تمييزاً لطرائقهم في التأليف، وتوضيح عن حَدّ الشعر في تصورهم الفردي، أو في تصور الاتجاه الذي ينتمون إليه، أو حتى في أفق الشعر الذي يريدون التحدث فيه، ويبدو أن هذا النوع من الشعر على الشعر أصبح خاصية حداثية وإبداعية من منظور مقارب، فالشاعر المجدد يجعلنا ننظر إليه في ذاته، ويشد انتباهنا إلى حضوره الذاتي، قبل، أو في الوقت الذي يلفتنا فيه إلى العالم الذي وراءه، فالشاعر كيان جمالي مزدوج الحضور يفضي إلى ما يدل عليه، أو يشير إليه، بالقدر الذي يفضي إلى نفسه، ويدل عليها ولهذا أكثر شعراء عصر ما قبل الإسلام من الحديث عن الشعر، ولكن كانت في ثنايا القصائد، وليست قصائد كاملة يتحدث موضوعها عن الشعر، فيغدو الشعر، من حيث هو إبداع.

ومما ذكر في الشعر الجاهلي باستخدام الشعر على الشعر، ومدح شعره أنه عندما أهمل إبل أخاه، فقال أخوه له: تُرى إن أخذت تردها بشعرك هذا؟ فقال طرفة: لا أخرج حتى تعلم أن شعري يردّها، فلجأ طرفة إلى ابن عمه مالك ليعينه على استرجاعها من آخذيها، وكانوا قوماً من مُضر، فانتهره مالك بعنف فتألم طرفة ونظم معلقته واصفاً حالته وظلم أهله عليه وذكر فيها سيدين من أقربائه وهما قيس بن خالد، وعمرو بن مرشد، فمدحهما بكثرة المال والولد فقال:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالدٍ ولو شاء ربّي كنت عمرو بن مرشدِ

فأصبحـــت ذا مالٍ كثيرٍ وزارني بنـــون كرامٌ، سادةٌ لمســـوّدِ[18]

فدعاه عمرو وكان له سبعة أولادٍ فأمرهم فدفع كل واحدٍ إلى طرفة عشرة من الإبل ثم أمر ثلاثة من أبناء بنيه فدفعوا له مثل ذلك، فردّ إبل أخيه وقد ردّها بشعره كما قال، وأقام ينفق من الباقي حتى نفد[19]، وهذا خير مثالٍ على التجديد في الشعر في استخدام شعره لمدح الشعر، وكسب الخير.

[18] العبد، طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: 564 م)، ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: 3، 1423 هـ - 2002 م، ص: 4/1.

[19] العبد، طَرَفَة، ديوان طرفة بن العبد، ص: 4/1.

ومن النماذج الأخرى لمدح الشعر ووصفه، وحديث الشعر عن الشعر والشاعر، وتأثيره، ما قاله الأعشى مفتخرًا بشعره، فقال:

ســـــاقَ شِعري لهمُ قافيَةً وعلَيهِم صارَ شِعري دَمدَمه[20]

دمدمة أي تدميراً، كقوله تعالى:{فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا}[21]، ما يلاحظ في قول الأعشى أنه يصف شعره بالقوة في بلاغته، وتدميره لما يقولون، فهو يذهب لمعنى بعيد في التجديد وهو قوة شعره في تدمير ما يقوله غيره، ويعلو عليه.

فكما قلنا كان سوق عكاظ خير مثال على توظيف الميتا شعرية في مبارزة الشعراء لشعرهم وبيان أجوده، وأشعر العرب، وتنقيح الشعر، حتى قال الأصمعي عن حسان بن ثابت وأمثاله مصطلح عبيد الشعر، لأنهم يجودون الشعر وينقحونه، على مدار عام كامل.

ومن حديث النبي عن شعراء الجاهلية في قوة شعرهم، وأشعرهم، ما ذكر في جمهرة أشعار العرب:" أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألوه عن أشعر الناس، قال: (ائتوا حسان)، فقال (حسان): ذو القروح (يعنى امرأ القيس)، إلا أنه لم يعقب ولداً ذكراً، بل إناثاً، فرجعوا، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (صدق، مرفع في الدنيا، حامل في الآخرة، شريف في الدنيا، وضيع في الآخرة، هو قائد الشعراء إلى النار)[22]، فما يدل على أن الرسول عندما سئل عن أشعر الناس أظهر لنا أنه لا يعرف، ولكنه بعث السائلين لحسان بن ثابته لسألوه، فال لهم امرؤ القيس، لجودة شعره وقوته، وهو أيضًا وصف شعره بالقوي حسن السبك، ولكن حسان قال بأنَّ امرأ القيس لم يخلف أولادًا، بل إناثًا، فما كان الرسول إلا أن قال عنه هو قائد الشعراء إلى النار.

---

[20] الخطاب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، ت: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 19/1.

[21] سورة الشمس: 14.

[22] الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، ديوان امرِئ القيس، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط: 2، 1425 هـ - 2004 م، ص: 5/1.

ومن وصف الشعر وافتخاره به، فهو يكون وصف الشعر على الشعر، بمدح شعره، وبيانه، ما أنشده طرفة بن العبد، وهو يفتخر بأشعاره فقا:

ولا أُغِيرُ على الاشعارِ أسْرِقُها عنها غَنِيتُ، وشرُّ الناسِ مَن سرَقا

وإنَّ أحسنَ بَيْتٍ أنْـــتَ قائِلُهُ بَيْتٌ يُقالُ، إذا أنشَدتَهُ، صَـــدَقا[23]

فقد وصف شعره بأنه يقوله من أفكاره، ولا يسرق الأشعار، فهو غني عن ذلك، وشر الناس هو الذي يسرق الأشعار، ويصف شعره بالصادق، وقال خير الشعر الذي أنت تقوله صدقًا، أي ألا تكون قد سرقته من أحد، وأيضًا إذا أُنشد البيت أمام أحد قالوا عنه لقد صدق، فهو يظهر لنا الميتا شعرية في وصفه شعره بالصدق النقي غير المسروق، ومدحه والافتخار به، بعد وصفه.

من قول امرئ القيس في شعره أيضًا، وفخره به، وأنه يقول أفضل الأشعار، وينهل منها بقوة في أبلغها وأقواها، ما قاله مفتخرًا بنفسه، فيقول:

أذُودُ القَوافِيَ عَنِّي ذِيادَا ذَيادَ غُلامٍ جَـــــرِيءٍ جَرَادا

فَلمَّا كَثُـــــرْنَ وعَنَّيْـــــنَهُ خَيَّـــــــرَ مِنْهُنَّ شَتَّى جِيَادَا

فَأعْـــزِلُ مَرْجَانَها جَانِباً وآخُذُ مِنْ دُرِّها المُستجَادا[24]

فامرؤ القيس يفتخر بشعره، بأنه يقول القصائد كثير، ولا يتعب في تأليفها، وجمعها، بل يدفع القوافي عنه لتكاثرها علي، كما يدفع الغلام الجريء فرسًا، فهو يمدح شعره ونفسه، وهذا هو الميتا شعرية بنفسها، في وصف الشعر على الشعر، ثم يقول بأن عندما كثرت الأشعار في رأسه، قام بتنقيحها وعزل المرجان عن الدر، فهو يصف شعره الدنيء بالمرجان، والجيد بالدر، وهذا فخر كبير في شعره، ووصف الشعر.

---

[23] العبد، طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: 564 م)، ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: 3، 1423 هـ - 2002 م، ص: 57/1.

[24] الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، ديوان امرِئ القيس، ص: 91/1.

النتائج والتوصيات:

وفي ختام هذا البحث توصل الباحث إلى عدة نتائج، ومنها:

1. أنَّ الميتا شعرية استخدمها الشعراء العرب قبل الإسلام.
2. الشعر العربي قبل الإسلام هو كنز دفين من الدلالات الكبيرة التي تحوي معظم أنواع الأدب الحديث.
3. يبين البحث حداثة شعراء العرب قبل الإسلام في الأجناس الأدبية ومواكبتهم لها، وأنهم لم يقولوا الشعر للشعر فقط، بل لمعاني كبيرة، ودلالات عميقة.

وختم الباحث بحثه بعدة توصيات، منها:

1. البحث العميق في شعر ما قبل الإسلام، وتطبيق الأجناس الأدبية الحديثة على شعرهم لمعرفة درجة حداثة شعراء ما قبل الإسلام.
2. الكشف العميق في الكثير من الأبحاث في شعر ما قبل الإسلام لما له من قيمة كبيرة، وبلاغة عظيمة.

وما في البحث من توفيق وتمام فهو من الله وحده, وما من تقصير ونقصٍ فهو مني ومن الشيطان، وما توفيقي واتكالي إلا على الله وحده، والحمد لله رب العالمين على توفيقه لي في إتمام هذا البحث.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولاً- المصادر والمراجع العربية:

1- إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي- القاهر، 1974م، ط: 3.

2- بشار الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328هـ)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف [سلسلة ذخائر العرب (35)]، ط: 5.

3- البغدادي، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد، أبو الفرج (المتوفى: 337هـ)، نقد الشعر، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط: 1، 1302هـ.

4- الخطاب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: 170هـ)، جمهرة أشعار العرب، ت: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

5- ربيعة، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: 41هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط: 1، 1425 هـ - 2004 م.

6- عبد الرحمن، إبراهيم، الشعر الجاهلي (قضاياه الفنية والموضوعية).

7- العبد، طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: 564 م)، ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: 3، 1423 هـ - 2002 م.

8- الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله (المتوفى: 486هـ)، شرح المعلقات السبع، دار احياء التراث العربي، ط: 1، 142هـ - 2002م.

9- ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف.

10- الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، ديوان امرِئ القيس، ت: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط: 2، 1425هـ - 2004م.

11- موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران (المتوفى: 384هـ).

12- نجم، محمد يوسف (المتوفى: 1430هـ)، فن المقالة، دار صادر – بيروت، دار الشروق – عمان، ط: 1، 1996م.

ثانيًا- المصادر والمراجع الأجنبية:

1- لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت –باريس.

2- وايلز، كاتي، معجم الأسلوبيات، ترجمة: خالد الاشهب، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، ط1، 2014م.

3- هيدجر، مارتن، مدخل إلى الميتافيزيقيا، ترجمة: د عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط:1، 2015م.

ثالثاً- المواقع الالكترونية:

1. القواسمة، د. محمد عبدالله، البوح الشعري في مجموعة (للحزن عيون تعرفني)، دنيا الوطن(صحيفة الكترونية) على الرابط https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2019/12/15/508954.html، بتاريخ: 2020/4/2.